Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 18, Sep. 2021
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة السابعة، المجلد السابع، العدد الثامن عشر، سبتمبر 2021
Issn :2710- 4141

أسكليبيوس الأسطورة والعبادة والرمز

محمود عبد المنعم الجزار
كلية الآداب . جامعة الجفرة
mahmoud_elgazzar@outlook.com

إبراهيم مفتاح شيره
كلية التربية . جامعة مصراته
ibrahemsherashera789@gmail.com

الملخص:

يعد اسكليبيوس أحد الآلهة التي صوّرها الإغريق وهي تعيش فوق جبل الألمبيوس، فوصفته الإلياذة بأنه الحاكم الأرضي للعالم، ولقد تضاربت الآراء حول نسبه، إلا أن الآلهة تنبأت بمستقبله، وذكرت أنه سيكون جالب للصحة إلى العالم بأسره، لذلك فهو أول طبيب يعبد في بلاد الإغريق.

اسكليبيوس أول من وضع أسس علم الجراحة، وفن استخدام العقاقير والأعشاب للعلاج في معابده المنتشرة في أرجاء العالم الإغريقي، والتي لها أثر كبير في شفاء المرضى الذين يترددون على تلك المعابد ويتلقون الرعاية الطبية بها، وقد كانت معابد اسكليبيوس أشبه ما تكون بمنتجعات صحية توجد بها كل وسائل الراحة والترفيه، كما تمتع كهنة معابده بأعلى سلطة لكونهم رجال دين وعلوم طبية في الوقت نفسه.

ويعد الثعبان الرمز الذي اتخذه اسكليبيوس من أقدم الرموز في العقائد الإغريقية فهو يرمز إلى الحماية والشفاء والتجدد والخصوبة والوحي، حيث تذكر الأساطير الإغريقية أن الثعابين هي التي علمت اسكليبيوس أسرار وخواص الأعشاب الطبية فاستخدم أتباعه رمز الثعبان الملتف حول عصا كتعويذة سحرية للعلاج.

الكلمات المفتاحية: اسكليبيوس، الطب، الأسطورة، .

Abstract:

Asclepius is one of the gods that the Greeks portrayed while living on Mount Olympus, so the Iliad described him as the earthly ruler of the world, and opinions differed about his lineage, but the gods predicted his future and stated that he would be a bringer of health to the whole world, so he is the first physician worked in the country of the Greeks.

Asclepius was the first founder of the surgery science and using drugs and herbs for treatment in his temples spread throughout the Greek world, which had a great impact on the healing of patients who frequented these temples and received the highest levels of medical care there, and the temples of Asclepius were more like health resorts in which all means existed for rest and enjoyments, as the priests of these temples enjoyed the highest authority of being clerics and medical sciences at the same time.

The snake is the symbol taken by Asclepius, it is one of the oldest symbols in the Greek beliefs, as it symbolizes protection, healing, regeneration, fertility and revelation, as Greek mythology states that snakes taught Asclepius the secrets and properties of medicinal herbs, so the followers of Asclepius used the symbol of the snake wrapped around a wand as a magic amulet for treatment .

Keywords: Asclepius, medicine, mythology.

المقدمة

ما من شك أن أغلب ديانات الحضارات القديمة، تناولت الحديث عن معبوداتها وأبطالها الذين ارتقوا إلى مصاف المعبودات، وما من ريب أنها صاغتها في إطار أسطوري في أغلب الأحيان، فذكر بعضها مولدهم وحبهم وكرههم ومؤامراتهم، وروى الآخر نظام الكون وخلق الإنسان، ومن هنا تباينت نظرة العلماء إلى هذه الأساطير: فمنهم من يرى أنها روايات خرافية وهمية، ومنهم من يرى أنها إنجازات روحية عظيمة وأن كُتَّابها موهوبون وأصحاب فكر عميق، ومنهم من يرى أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعائر الدينية وأنها روايات خرافية تطورت لتفسير طبيعة الكون ومصير الإنسان والعقائد، بينما يرى علماء النفس أن الأسطورة ذخيرة بدائية تكشف وتثير العقل الباطن الجماعي للإنسان، في حين يرى بعض اللغويون أن الأسطورة مرض في اللغة إذ أنها محاولة عقيمة للتعبير عما لم يستطع الإنسان التعبير عنه، ولذلك واجه العلماء في هذه الناحية صعوبة كبرى في قراءة الوثائق الأصلية لهذه الأساطير التي تميزت لغتها بالتعقيد. (زايد، 1985، ص 29).

لم يكن الفكر الديني البشري وليد عشية وضحاها، وإنما كان وليد مرحلة طويلة من التجارب صارع فيها الإنسان كافة مظاهر الطبيعة إذا كانت قاسية، أو تواءم معها إذا كانت هادئة. ولذا فقد آمنت الشعوب القديمة بوجود قوى غير طبيعية تسكن السماء وأعالي الجبال تسيطر على حياتهم اليومية، ومن ثَمَّ رفعوها لمصاف المعبودات وأضفوا عليها سماتٍ بشرية أو شبه بشرية، وأرجعوا الكوارث كالعواصف والطاعون إلى سخطها، ونسبوا الرخاء ورغد العيش إلى رضائها. ومن هنا رأت تلك الأقوام وجوب السعي لإرضاء من جعلوهم في مصاف المعبودات ودرء سخطهم فوضعوا لها مراسم وشعائر معينة وقدموا لها القرابين في مواقيت بعينها، وغالباً ما كان أداء الشعائر وتقديم القرابين فوق قمم الجبال الشاهقة أو في الكهوف والمغارات أو مداخل المناجم، أو في البساتين، أو على ضفاف الأنهار، أو بالقرب من الآبار والينابيع (Davies, H., 1974, p. 41).

وغدت أماكن أداء الشعائر وتقديم القرابين على اختلاف أماكنها تجسد كافة المظاهر الطبيعية منذ نشأتها واكتسبت قدسية كبيرة، ونُسِجَتْ حولها القصص والروايات، والتي صارت أصل أساطير خلق

المعبودات، وأصبحت نبراساً للأساطير الشعبية فيما بعد، والتي حاول فيها مؤلفوها أن يفسروا ظواهر الطبيعة من نهارٍ وليلٍ، وتعاقب الفصول وتغير المناخ وظواهر العواصف والزلازل والبراكين (Cunliffe, B., 1979, pp. 22- 25).

ويعد الإغريق بحضارتهم الهلينية ولغتهم اليونانية من أكثر حضارات العالم القديم رواية للأساطير والتي تعد من صميم ديانتهم الإغريقية، وورث الرومان الحضارة الإغريقية وأضافوا إليها فجاءت حضارتهم اللاتينية استكمالاً للهلينية وبالمثل ديانتهم، وعلى الرغم من اختلاف اللغة بينهما إلا أنه من اليسير على الباحث تلمس أوجه الشبه الكبير بينهما، وخير دليل على ذلك التشابه بين المعبودات كـ ديميتر (Dematr)معبودة الحبوب والحصاد عند الإغريق وكيريس (Ceres) عند الرومان، وبين زيوس (Zus)كبير معبودات الإغريق وجوبيتر(Jubtar) عند الرومان، بل إن أبوللون وباخوس Bacchus كانا يحملان الاسمين نفسيهما عند كليهما. (Seltman, C., 1961, p. 15)

كما آمن الرومان كالإغريق بوجود العديد من المعبودات التي تحمل السمات البشرية، ورغم ربوبيتها ومنزلتها السامية إلا أنها لم تكن منزهة عن الآثام كالبشر تماماً، وخلافاً لما سبق فقد آمنوا بانفراد تلك المعبودات بضمان سعادة الموتى ورفاهيتهم، علاوة على قدرتها على عقاب البشر بسبب أطماعهم أو غطرستهم أو جحودهم ونكرانهم للجميل. (.Guirand, F., 1959, pp. 12-14).

ولقد تصور خيال الإغريق أن هناك معبودات كبرى وعددهم اثني عشرة معبوداً من الناحية الرسمية ثم أُضيف إليهم معبودتين هما ديميتر وبرسيفوني فأصبح العدد أربعة عشر معبوداً، واعتقدوا أن هذه المعبودات تعيش في مجمع فوق جبل الأولمبس تحت رئاسة زيوس، علاوة على ذلك فقد تصوروا وجود معبودات صغرى والتي كان عددها كبير ووظائفها متعددة فمنهم الرسل والحاشية للمعبودات الكبرى، ومنهم معبودات الريف والمراعي والغابات، ومنهم معبودات المحيطات والبحار، ومنهم معبودات القوى والرغبات الخاصة، ومنهم الأبطال.(الناصري، 1976، ص ص 14–23).

ومن واقع تعدد صفات وخصائص المعبودات آمن الإغريق بوجود معبودات لها خاصية الهيمنة على مناحي الحياة المختلفة، وهى وثيقة الصلة بمعبودات جبل الأولمبس، ولعل من بينها اسكليبيوس Asclepius – صاحب عنوان البحث – ابن أبوللون Apollōn "رب الشباب والشعر والموسيقى عند الإغريق" ويعدونه أيضاً رباً للشفاء والتنبؤ بالغيب، والمعروف باسم Apollo عند الرومان والمكنى عندهم بـ Phoebus "رب النور".(الناصري، 1976، ص 16).

ومن الملاحظ أن الأساطير التي تصف أصول المعبودات ترجع بأصولها إلى روايات محلية، ولهذا اختلف مضمونها من إقليم لإقليم، ومن قوم إلى قوم، وكان الإغريق ومن بعدهم الرومان يغضون الطرف عن مثل هذه المتناقضات، لاسيما بعدما توسعوا تجارياً أو استعمارياً ونجم عن ذلك دخول معبودات محلية جديدة إلى عقائدهم نتيجة دخول شعوب جديدة تحت هيمنتهم. وقد دعا هذا التوسع أيضاً، وهذه الأنشطة التجارية والاستعمارية المتنامية القوم إلى ابتكار معبودات ذات صفات جديدة خُصص كل منها لحاجة من حاجات البشر، ولعل من بين هؤلاء معبود الطب والذي جعلوه مختصاً بجلب الصحة وتخفيف المعاناة عن المرضى. (Webster, G., 1986, pp. 51- 56)

2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ارتباطها بمجالٍ من أسمى مجالات العمل قديماً وحديثاً ألا وهو مجال تاريخ الطب، وارتباطه بالاسطورة والذي تتكامل فيه جميع تخصصاته ولم يقو فرع على الصمود دون الآخر.

3. الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى محاولة إثبات أصول العلوم الطبية الحديثة خاصة في الغرب الأوروبي وإرجاعها إلى الحضارة الإغريقية منذ القرن العاشر ق.م على أقل تقدير. علاوة على أن الدراسة تهدف إلى إثبات قوة العلاج الروحي بجانب العلاج الطبي والفيزيائي وأصوله في الحضارة الإغريقية.

4. منهجية البحث

اتبع الباحثان المنهج الموضوعي المنتظم في إطار زمني، وهو منهج العرض والتحليل واستقراء الأصول لربط الحاضر بالماضي من واقع ما ذكرته المصادر.

5. حدود البحث الزماني والمكاني:

يمتد نطاق البحث الزماني منذ بداية الألف الأول ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي، أما النطاق المكاني فيمتد في نطاق التوسع اليوناني والروماني في العالم القديم.

6. إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في كثرة المصادر الأسطورية في العصرين اليوناني والروماني، علاوة على المصادر الدينية وما يشوبها من مبالغات في العالم القديم، يضاف إلى ذلك ندرة المصادر العربية حول موضوع البحث، وهو ما دفع الباحثان إلى توخي الكثير من الحذر ومحاولة استخلاص صحيح الروايات من واقع الدراسات المقارنة، كما تكمن اشكالية البحث في الفصل بين مايكون اسطورة وما يكون علمي بحث.

ينقسم موضوع البحث إلى ثلاثة أقسام: الأول ويتناول الحديث عن اسكليبيوس الأسطورة، والثاني ويتناول الحديث عن اسكليبيوس العبادة، والثالث ويتناول الحديث عن اسكليبيوس الرمز.

اسكليبيوس الأسطورة:

آمن الإغريق قديما –كغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة– بأن الآلهة هي خالقة البشر، بل إنهم يعدون البشر في تكوينهم قبس إلهي، وليس من المستحيل أن يصبحوا هم أنفسهم آلهة حال مماتهم، وإن كان هناك استثناء للبشر في حياتهم الدنيوية فهم يُعرفون باسم القدسين على الأرض، ويعدهم الإغريق أبطالاً، وهم في منزلة وسطية بين الآلهة الخالدة Athanatoi والبشر الفانين Brotoi، وقد تبوأ هؤلاء الأبطال المكانة السامية عند الإغريق فكان البطل منهم بمثابة الجد الأعلى للقبيلة التي نسبت نفسها إليه، وإليهم نسبوا الإغريق تأسيس مدنهم. (تشريني، 1996، ص 61).

ويجوز لنا أن نَعُدَّ اسكليبيوس واحداً من بين هؤلاء الأبطال أو واحداً من الآلهة الصغرى في الديانة الإغريقية، وتشير الكثير من الدلائل والبراهين إلى أن اسكليبيوس كان من بين هذه الفئة من الآلهة، إذ وُصِفَ في الإلياذة بأنه الحاكم الأرضي (الدنيوي) لتريكا Tricca، والطبيب الذي قاد ولداه فرقة عسكرية حملتها السفن للمشاركة في حرب طروادة، وكان لهما دورٌ فعالٌ في تلك الحرب لا في معالجة الجرحى بالعقاقير أو بالعمليات الجراحية فحسب، بل في مواجهة ما تفشَّى من وباء وأمراض بين الجنود أيضاً.(Encyclopedia Britannica, *1910, I, 43.)*

وعلى الرغم من أن اسكليبيوس كان أول طبيب يُعبد في بلاد الإغريق، إلا أنه لم يكن الأول في حضارات الشرق الأدنى القديم، فقد سبقه بأكثر من ألفي عام المهندس المعماري إيمحوتب وزير الملك "نثر إر خت" (جسر) (2649–2621 ق.م) رأس الأسرة الثالثة المصرية وأشهر ملوكها إذ قدسه المصريون ورفعوه إلى مصاف الآلهة وامتد تقديسه حتى العصر الروماني، وجعله المصريون مع غيره يمثلون حكمة الأجداد، كما غدا إيمحوتب منذ العصر المتأخر رباً للطب، ولذلك قرنه الإغريق المقيمون بمصر بـ اسكليبيوس وأطلقوا عليه اسم Imuthes، وأضحت مقبرته في منف من أشهر مراكز اسكليبيوس للعلاج.(Risse, G.B,1986, pp. 622-624. ؛ علي، 2001، ص ص 466–479).

يفسر أولوس كورنيليوس كلسوس Aulus Cornelius Celsus –أحد أطباء القرن الأول الميلادي– دوافع تقديس اسكليبيوس وارتقائه إلى مصاف الآلهة كمعبود للطب في مقدمة كتابه "عن الطب" بقوله: "يُعرف اسكليبيوس بالمؤسس الأول، إذ أعاد لهذا العلم (أي الطب) نضوجه، بعد أن كان غضاً (غير

ناضج) في طفولته، وأكسبه درجة كبيرة من الدقة، ولهذا تبوأ مكاناً بين الآلهة". (Aulus Cornelius (Celsus, 1831, pp. 1-5.

بينما ذكر جالينوس (131–201م) –طبيب بلاط الإمبراطور ماركوس أوريليوس وأشهر أطباء القرن الثاني قاطبة– في أحد تضرعاته لآلهته من أجل شفاء الإمبراطور واصفاً اسكليبيوس بكلمة الروح **Δαιμων** بدلاً من كلمة الرب **θεῖε** ، أي أنه يرى في اسكليبيوس المقدس ذو الروح الحارسة، وذكر أن التضرع واستحضار روح اسكليبيوس أسهل من التضرع لـ أبوللون الذي لا يبالى بالإنسان، وما يلحق به من نكبات. (Edelstein, E, & L., 1945, I, p. 11; Bajnok, Dániel, 2014, p. 25 - 30).

وأكد باباداكيس Papadakis –مؤرخ القرن الثاني المعاصر لجالينوس– أن اسكليبيوس بطلٌ امتزجت فيه الطبيعتان البشرية والسماوية، وقد تبَّوأ مكانة سماوية بمرور الزمن، ويعتقد أن أبيداوروس هي موطن عبادته ومقر تقديم القرابين، ويبدو أنه دُفن فيها. (Papadakis, T., 1988, pp. 23-26.) ويبدو أن رأي باباداكيس يشابه نظرة العقيدة المسيحية في يسوع ذي الطبيعتين. كما يبدو أن وصف جالينوس لاسكليبيوس يرجع إلى ما كان سائداً من فكر عقائدي في عصره عن اسكليبيوس كابن لإله خالد من أم فانية أي أنه نصف إله أو إله أسطوري، وهو ما أكد عليه باباداكيس بجعل اسكليبيوس مزيج من طبيعتين سماوية وبشرية وإن كان يميل إلى الجانب البشري أكثر بدليل أنه جعل من أبيداروس مدفن له.

النسب والنشأة:

يُعدُ هوميروس أول من أشار إلى اسكليبيوس إذ ذكره في الإلياذة ثلاث مرات، ولم يذكره في أي موضع بالأوديسه، وظهر فقط كأب لـ ماخايون وبوداليريوس، ولُقِّبَ مرتين بـ "الطبيب الماهر" إذ ورد: "ولدا اسكليبيوس طبيان ماهران، ماخايون وبوداليريوس"، "أدعوا ماخايون إلى هنا، ابن اسكليبيوس الطبيب الماهر"، "ماخايون ذهب جانباً، ابن اسكليبيوس الطبيب الماهر" (Walton, A., 1894, p. 2.)، وقدمته الإلياذة كبطل فاني وتزوج من إبيون Epione ابنة هرقل إلهة تهدئة الألم، وأنجب الزوجان ثمانية أطفال تميزوا بقدرات علاجية مختلفة، أربع بنات هن: هيجيا Hygieia إلهة الصحة والنظافة والصرف الصحي (النظافة)، إياسو Iaso إلهة الشفاء من المرض، أيجل Aigle إلهة الجمال ووهج الصحة الجيدة، وباناكيا Panacea إلهة العلاج الشامل. بالإضافة إلى أربعة ذكور أشهرهم بوداليريوس Podalirius وماخايون Machaon، وتضيف بعض المصادر إبنة أخرى هي أكسو Akeso إلهة عملية الشفاء، وذكرت الإلياذة أن اسكليبيوس كأب نقل مهارته لولديه اللذين ورثا مهنة الطب وشاركا أجممنون في حرب طروادة كرؤساء

لجيش تريكا Tricca وإيثيمي Itheme وأوخيليا Oechalia، وكانا معالجين أسطوريين خدموا كجراحين ومسعفين أثناء حرب طروادة. ولعل هذه الإشارة المبكرة لاسكليبيوس لتشير إلى أن شكله وكفائته الطبية كانا معروفين منذ النصف الثاني للقرن الثامن ق.م على أقل تقدير. (Panagiotidou, O., 2016, p. 3; Russell, D.A., 2016, pp. 30-38; Isakov, N., 2018, pp. 1-2).

اتفقت كافة المصادر على أن اسكليبيوس ابن أبوللون رب دلفي وأحد آلهة الأولمبوس الخالدين (Athanatoi)، وتباينت حول أمه، فذكر جُل الكُتَّاب ومنهم هوميروس Homer (800-700 ق.م) وأوفيديوس Ovidius (45 ق.م-17م) وبوزينياس Pausanias (القرن الثاني الميلادي) ويوزيبيوس Eusebius (260-340 م) على سبيل المثال لا الحصر أن أبوللون كان يهيم حباً بـكرونيس Coronis البشرية الفانية (Brotoi) ابنة فليجياس Phlegyas ملك ثيساليا Thessaly، على حين انفرد أبوللودوروس* Apollodorus بذكر أنها أرسينوي Arsinoe ابنة Leucippus من مسينيا Messene. وعلى كل حال ظهر اسكليبيوس كشخصية أسطورية في قصائد الشاعر الغنائي بندار Pindar (518-445 ق.م)، ومنذ منتصف القرن الخامس ق.م ظهرت أسطورة متقنة ومبنية بشكل مدروس حول أصل اسكليبيوس، فأظهرت قصيدة بيثيا Pythia III لبندار أن اسكليبيوس ابناً للإله فويبوس Phoebus رب النور من الأميرة كورنيس ابنة فليجياس حاكم إقليم ثيساليا (Pindarus, Pythiae, III, 1-58; Rillo, A.G., 2008, p. 390; Roman, L. & Roman, M., 2010, p. 87;).

قدم الباحث أليس والتون Alice Walton في أواخر القرن التاسع عشر دراسة مفصلة عن عبادة اسكليبيوس وتناول منشأه بشيء من التفصيل وأكد على أن عبادة اسكليبيوس لم تكن موجودة في عهد هوميروس على حين وجدت مقار اسكليبيوس في غرب ثساليا مما يدل على وجوده كطبيب بشري ماهر، وهو ما دفع القوم حينها بأن يلقبونه بروح الأرض ويرفعونه فيما بعد إلى مصاف الآلهة (Walton, A., 1894, pp. 1-35.)، ومنذ ذلك الحين ذكر الشاعر الروماني أوفيد Ovidius في كتابه الموسوم بـ مسخ

* أبوللودوروس (القرن الثاني ق.م) عالم وكاتب من أثينا نشأ في القرن الثاني ق.م وشارك في النهضة الثقافية الفكرية للأسكندرية. كتب أبوللودوروس "خايرونيكا" العمل التأريخي والفكر التاريخي، والرسالة الموسومة بـ "عن الآلهة"، وشرح قائمة السفن الهومرية. لم يكن أبوللودوروس على الأرجح مؤلف "المكتبة"، الدراسة الشاملة لعلم الأساطير والمصدر المهم للعديد من الأساطير اليونانية، ولكن مازال العمل على نحو تقليدي يُعرف بـ "مكتبة أبوللودوروس". للمزيد ينظر:

Roman, L. & Roman, M., Encyclopedia of Greek and Roman Mythology, Facts On File, Inc., N.Y 2010, p. 77.

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 18, Sep. 2021
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة السابعة، المجلد السابع، العدد الثامن عشر، سبتمبر 2021
Issn :2710- 4141

الكائنات Metamorphoses –والذي يعد بياناً مفصلاً للأساطير اليونانية الرومانية بالإضافة إلى أساطير التحولات المعجزة بدايةً من خلق العالم حتى زمن المؤلف – أن أصول اسكليبيوس شمالية، وأمام تعدد الروايات في المصادر سيعتمد الباحثان بصور رئيسية على رواية ببليوس أوفيديوس ناسو Publius Ovidius Naso (45 ق.م–17م). فذكر أوفيديوس:

"إنه في ثيساليا لم يكن أجمل من كرونيس اللاريسية التي كان أبوللون إله دلفي يهيم بها حباً، غافلاً عن خداعها له، لكن الغراب الأسود . طائر أبوللون . اكتشف خيانتها، وأسرع – ذلك الواشي المخلص – ليخبر سيده أنه رأى كرونيس في الفراش مع شاب من ثيساليا، وعندما سمع أبوللون هذا، انزلق إكليل الزهور من على رأسه، وسقطت ريشة العزف، واستبد به الغضب، وامتدت يداه نحو أسلحته، ورمى بسهم أصاب به الصدر الذي طالما ضمه بقوة إليه؛ فصرخت كرونيس في ألم شديد عندما استقر السهم في صدرها، وعندما انتزعته انبثق الدم الأحمر القاني ليخضّب أطرافها كلها، فصاحت: "فويبوس أبوللون، إنني استحق هذه العقوبة، ولكن لماذا لا تدعني أضع طفلنا أولاً ؟ سيموت كلانا الآن . أنا والطفل . معاً". وكانت تلك كلماتها الأخيرة، "

"وأحس حبيبها بالندم ... وقام يدلك جسد حبيبته التي فارقت الحياة، واستخدم مهاراته في المداواة علَّه يجنبها مصيرها المحتوم، لكن ذلك كله جاء متأخراً جداً بحيث لا يفيد"

"وعندما أيقن أن جهوده بلا جدوى، وأن محرقة الجنازة جاهزة، وأن النيران على وشك التهام أطراف القتيلة، تأوَّه من أعماق قلبه، ... وقام أبوللون فصب العطور على صدر كرونيس واحتضنها للمرة الأخيرة، ثم أتم مراسم جنازتها غير اللائقة. ولكي يحول دون ترك نسله للرماد، اختطف طفله من رحم أمه من بين ألسنة اللهب، وأخذه إلى كهف القنطوروس خيرون*" (Ovidius, Metamorphoses, II, 542- 647; Rillo, A.G., 2008, pp. 390-391)

* القنطور ابن كرونوس من فيليرا ابنة أوقيانوس، وهو صديق الآلهة الأولمبية ووصي ومربي العديد من الأبطال الأسطوريين، وخيرون هو المثل الأزلي للقنطور المثقف، إذ برع في الطب وارتبط بأبوللو. وثقت به آلهة الأولمبس وأصبح المؤتمن على نشأة وتعليم الأبطال مثل باسون وبيليوس Peleus والد أخيليوس، وأخيليوس الشخصية الرئيسة في الإلياذة، الذي علمه خيرون العزف على القيثارة، وعلم هرقل الفلك، وأسكلبيوس الطب. ينظر:

Roman, L. & Roman, M., Encyclopedia of Greek and Roman Mythology, Facts On File, Inc., N.Y 2010, p. 117.

ونجد أيضاً ذكراً للدور الذي لعبه الغراب عند هزيودوس Hesiodus، أما مصيره فيتحدث عنه أبوللودوروس في القرن الثالث قبل الميلاد قائلاً:

"لعن أبوللون الغراب الذي جلب له الخبر، وأبدله من لونه الأبيض الذي كان عليه لوناً أسوداً"(Apollodorus, Bibliotheca, III, 10, 3, 4, -5, 1).

يتضح مما ذكره الكتاب الكلاسيكيون من نسب اسكليبيوس لأبوللو من الجميلة الفانية كرونيس، ونتيجة غضب أبوللو نجحت قدرته في تحويل لون طائر الغراب من الأبيض إلى الأسود جزاءً له على ما نقله من خبر خيانة كرونيس وتسبب في قتلها بسهمه، ثم ندم وحاول إنقاذها من الموت، ولكن الجرح الذي أحدثه السهم في صدرها كان غائراً وينزف بغزارة. ومما يثير العجب أنه وفي عصرنا الحالي وعلى الرغم من تقدم مجال الطب وتطور أدواته، فإن الأطباء يتعاملون مع مثل هذه الحالات الحرجة بالتدخل الفوري وإجراء عملية جراحية عاجلة أملاً في إنقاذ المصاب وقد يتطلب الأمر نقل دم إلى المصاب، وعلى الرغم من هذا الجهد المبذول ربما يفشل الأطباء في عملية الإنقاذ نتيجة الجرح القاتل.

وفيما يختص بعبارة "اختطف طفله من رحم أمه" لهى أقدم إشارة لما يُعرف اليوم في المجال الطبي بـ "الولادة القيصرية" وترتبط عند العامة باسم يوليوس قيصر، وقدم الطبيب هاجارد Haggard شرحاً وتفسيراً لها مع مطلع الربع الثاني من القرن العشرين وذكر أن الناس يرددون ما أشار إليه بلينيوس Plinius الكبير المؤرخ الروماني لهذا النوع من الولادة إذ قرنوه خطأً بـ بويليوس إسكيبيو ويوليوس قيصر، وأدى هذا إلى سوء الفهم الشائع واعتقد البعض أن كلمة "قيصرية" مشتقة من اسم يوليوس قيصر، لكن صحيحها أنها مشتقة من الفعل اللاتيني Caedere بمعنى: فصل أو قطع أو طرح، ويصف طريقة القبالة نفسها. عرف اسم العملية للكثيرين أن يوليوس قيصر أتى للحياة بهذه الطريقة، وغير معلوم لديهم أن مثل هذه العملية أجريت لامرأة حية في عهد يوليوس قيصر، أما أمه جوليا فقد عاشت سنوات عدة بعدما ولدته وتشير رسائله لها على بقائها على قيد الحياة. والتفسير المحتمل للاسم يمكن أن يُرَّد إلى جمع الملك نوما بومبيليوس Numa Pompilius للقوانين الرومانية وتصنيفه لها سنة 715 ق.م، وقد كتبت الكلمة بالمفردات نفسها التي وردت بها أول مرة، ومن هذه القوانين الأمر بوجوب إبعاد الجنين عن أمه أثناء الولادة. وحتى في الحالات التي لا تكون فيها فرصة لبقاء الجنين على قيد الحياة فإنه يُدفن بمعزل عن أمه، ثم صارت لفظة regia فيما بعد تحت حكم الأباطرة Caesares، وأصبحت العملية تُعرف بالقيصرية أو عملية القطع. وقلما أُجريت مثل هذه العملية لامرأة وبقيت حية، حتى في زمن Ambrisoe Pare أبو الجراحة الحديثة،

بل إنه لقرون بعد ذلك كانت مثل هذه العملية الملاذ الأخير الذي لا يلجأ إليه الأطباء إلا عند الضرورة، لما ينتج عنها من وفيات. (Haggard, H.W., 1929, pp. 30-32.)

اسكليبيوس طبيباً:

ذكر أوفيديوس في كتابه "مسخ الكائنات" أن ابنة أبوللو قامت بزيارة كهف القنطوروس وبرؤيتها اسكليبيوس تنبأت بمستقبله إذ ورد:

> **"وفجأة وصلت أوكيراي Ocyrhoe ذات الشعر الذهبي الضارب للحمرة المسترسل على كتفيها، ابنة أبوللون من الحورية كاريكلو التي أسمت ابنتها باسم المجرى المتدفق الذي ولدتها على ضفافه، وكانت الابنة طموحة لم تقنع بتعلم ما يعرفه أبوها من فنون، فكانت قادرة على التنبؤ بالمستقبل أيضاً. وعندما أحست بقدرة التنبؤ تستحوذ على عقلها، ويستعر دفء الحضور الإلهي داخلها، نظرت إلى الطفل قائلة:**
>
> **"أيها الولد الصغير جالب الصحة للعالم بأسره، ليتك تكبر وتترعرع، سيدين لك الموتى، ويكون لك الحق في إعادتهم للحياة... ولكن في يوم من الأيام ستُغْضِبُ الآلهة بسبب جُرأتك؛ وستتحول من إله خالد إلى جسدٍ يفنى رويداً رويداً، ويصير جثة هامدة لا حياة فيها، ولكن فيما بعد ستصبح إلهاً مرة أخرى وتستعيد مجدك مرة ثانية".** (Ovidius, Metamorphoses, II, 547- 648).

جعل الإغريق اسكليبيوس إلهاً للطب والعلاج والأدلة كثيرة في مجال الأدب على أن اسكليبيوس كان شخصاً حقيقياً، وبطلاً مؤلهاً عبده الناس طواعية ورغبة لحاجتهم المتزايدة لمعبود يقيهم شر العلل والأمراض التي كانت تفتك بهم آنذاك، فظهر اسمه لأول مرة في إلياذة هوميروس عندما وصف حصار الآخيين لطروادة، ويميل باحثو الدراسات الكلاسيكية إلى أن نص الإلياذة ظهر وانتشر على نطاق واسع في شكله الحالي منذ النصف الثاني من القرن العاشر ق.م، وأن بيان وصف السفن في الكتاب الثاني للإلياذة وصف الآخيين في بلاد الإغريق قديماً، كما وصف باقي أقاليم بلاد الإغريق وحكامها والأحجام النسبية لمجتمعاتها آنذاك. (Wace A.J.B, 1962, p. 52.)

وظهر ضمن سياق الوصف اسكليبيوس وولداه ماخايون وبوداليريوس كطبيين في صورة بشرية حقيقية، وارتبطا ارتباطاً وثيقاً بـ تريكا Tricca في المنطقة الشمالية الشرقية من سهل ثيساليا Ʋεσσαλια إذ ورد:

"أولئك الذين عاشوا في تريكا Tricca وإثومى Ithome المنحدرة، وأولئك الذين عاشوا في أوخيليا . مدينة إيورتيس Eurytus الأوخيلية، هؤلاء مرة أخرى كان يقودهم ابنا اسكليبيوس – الطبيبان الماهران – بوداليريوس وماخايون ومع هذين كانت تصطف السفن الثلاثية الفارغة". (Iliad, II, 729- 33.)

وبعد جدل طويل دار حول اسكليبيوس فيما ذكره هوميروس في أشعاره، تبين أن اسكليبيوس بلا شك هو المعالج ذائع الصيت الذي انتقلت شهرته إلى ولديه، أيدت الأدلة الأثرية قصة هوميروس عن طروادة، فمنذ سبعينيات القرن 19 قام الأثري الألماني هاينريش شليمان Heinrich Schliemann بالبحث عن المدينة التي ذكرها هوميروس، ونقب عنها في هضبة حسارليك Hisarlik التركية معتقداً أنه يمكن أن يجد طروادة القديمة، وكشف بالفعل عن آثار مدينة ازدهرت في الألفين الثالثة والثانية ق.م في ذلك المكان، وأعلن أنه وجد أدلة أثرية ملموسة، وركز على التشابه بين ملامح المدينة التي اكتشفها والمدينة التي وُصفت في الإلياذة. ثم جاءت نتائج حفائر وأبحاث التنقيب التي قام بها دوربفلد Dorpfeld وكارل بليجن Blegen من جامعة سنسناتى Cincinatti في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وأخيراً نتائج أعمال حفر الفريق الدولي بقيادة كاوفمان Kaufman لتكشف عن أكثر من ستة وأربعين شكلاً من أشكال المباني، بما في ذلك القلعتين ذواتى الأسوار، المعروفتين بطروادة 6 وطروادة 7، وتدل آثار المدينتين على أن نهايتيهما جاءتا بصورة عنيفة، لاسيما طروادة 7، التي تدل بقاياها على استعدادات لحصار واكب الفترة الأخيرة من حياة الحضارة الإغريقية المبكرة "الموكينية" التي ازدهرت في أرض اليونان الأم أثناء العصر البرونزي الأخير. (Kaufmann M., 1991-94, Vols. I–IV, passim)

بما أن أعمال الحفر والتنقيب نجحت في الكشف عن مدينة طروادة القديمة وجعلت ما ورد في رواية هوميروس واقع ملموس، وكشفت أيضاً الدراسات الحديثة عن أدلة أكثر قوة تؤكد على اتصال الموكينيين بطروادة وأن حرب طروادة واقعةً تاريخية، وأن الآخيين الذين ورد ذكرهم هم إغريق عصر هوميروس، لذلك يميل الباحثين إلى الأخذ بصدق رواية هوميروس في هذا الشأن، وإذا كانت نتائج أعمال الحفائر أثبتت مصداقية الرواية، فإن الباحثان يميلان إلى التأكيد على حقيقة وجود أبطال إلياذة هوميروس، وإذا سَلَّمنا بمصداقية هذا الرأي فإنه يؤكد بما لا يدع مجال للشك على الوجود الحقيقي لاسكليبيوس وولديه ومشاركتهم في هذه الحرب، وفي المجمل فإن هذا الأمر يؤكد على بشرية اسكليبيوس ومنزلته المباركة.

وعلى أية حال فإن اسكليبيوس أُشير إليه على أنه الطبيب البريء، أو الطبيب الطاهر، الذي قاد ولداه ماخايون وبوداليريوس الفرقة العسكرية التريكية في البيان المصور للسفن اليونانية في الإلياذة، ولعل

اسكليبيوس قام بأعمال فيها قدر من البطولة، يجعل من الممكن أن يعده الناس فيما بعد بطلاً أسطورياً مؤلهاً، وإذا ما صح هذا الافتراض فإنه يؤيد الزعم القائل بأن أبقراط كان حفيده الثامن عشر. (Hippocrates, Epistulae, 2)

كان اسكليبيوس أول من وضع أسس علم الجراحة وفن صناعة العقاقير، ويقال إنه تعلم تلك المهارات من الساحرة المشعوذة الأميرة ميديا، واستخدم الأعشاب التي كانت منتشرة في وادي ثيساليا بعد أن تعلم أسرارها من الأفاعي التي كان يرعاها على قمة بليون Pelion بناءً على وصية خيرون وإرشاداته. وكما استقى من خيرون مهاراته الطبية كلها، وجمع إليها مهارات ميديا، استدر عطف أثينا فمنحته بعضاً من دم الغرغونة والذي من خصائصه إحياء الموتى. (Horstmanshoff, H.F.J., 2004, pp. 327-329)

قَدَّم أبوللودوروس تفصيلات حول براعة اسكليبيوس الطبية في إحياء الموتى فقال:

"بعد أن صار جراحاً على درجة كبيرة من المهارة، لم يقتصر ما فعل على إنقاذ بعض الناس من الموت بل أعاد بعضهم للحياة أيضاً، لأنه قد تلقى من أثينا الدم الذي تدفق من الغرغونة، وكما كان يستطيع أن يستخدم الدم الذي تدفق من جانبها الأيسر في سلب الحياة البشرية، كان يستخدم الدم المنبثق من جانبها الأيمن في إعادة الموتى إلى الحياة، وبهذه الطريقة استطاع أن ينتشل الناس من (حومة) الموت" (Apollodorus, Bibliotheca, III, 10, 3, 8-9)

والغرغونة Gorgons في الأساطير الإغريقية هي ثلاثة أخوات هن: Sthenno ، Euryale، Medusa، وهن بنات Phorcys و Ceto آلهة البحر، وتكسو رؤوسهن الأفاعي بدلاً من الشعر، ويُحلن كل من ينظر إليهن إلى حجر (Roman M., pp. 179-180)، وبينما ذكرت الأسطورة أن أثينا منحت اسكليبيوس بعضاً من دم الغرغونة ليستخدمه في بعث الموتى، إلا أنها لم توضح كيفية قيام اسكليبيوس بعملية نقل دم الغرغونة للمتوفي، ولكن على أية حال فإن دم الغرغونة كما ذكرته الأساطير يُعدُّ نعمة ونقمة في الوقت ذاته، فدم جانبها الأيمن يعيد الحياة إلى الموتى، بينما دم الجانب الأيسر يقود إلى الوفاة، ويرى الباحثان أن هذا الأمر ليس بعيداً عما عليه مجال الطب الآن في عمليات نقل الدم والتي توصف بأنها نعمة ونقمة أيضاً، أو السلاح ذو الحدين، فهي لازمة لإبقاء المريض على قيد الحياة، خاصة من فقد الكثير من دمائه وأصبح عرضة إلى الموت، ولكنه في الوقت ذاته قد تكون نقمة إذا ما كان هذا الدم مصاباً بفيروس معدي فتَّاك كـ فيروس الكبد البائي أو الإيدز أو كورونا المعاصر على سبيل المثال لا الحصر، وقد يؤدي عدم

دقة نتائج تحليل الدم إما لعدم الخبرة أو لوجود فيروس لم يُكتشف بعد، علاوة على غياب الحجر الصحي إلى هلاك الجنس البشرى في أيامنا المعاصرة.

وعلى أية حال فإن من بين حالات المخلوقات البشرية التي نجح اسكليبيوس في إعادتها للحياة كابانيوس Capaneus، جلاوكوس Glaucus (الابن الصغير لمينوس الذي مات بسقوطه في قدر العسل)، هيبوليتوس Hippolytus، هيمينايوس Hymenaeus، ليكورجوس Lycurgus وتينداريوس Tyndareus. وذكر أوفيد أن من بين وسائل اسكليبيوس لبعث الموتى ضرب الميت ثلاث مرات بأعشاب الشفاء مع تلاوة كلمات الشفاء ثلاث مرات، وأوضح ديودوروس الصقلي أن اسكليبيوس جعل من زيوس قدوة يُحتذي بها، فهو الذي سعى لمنع الكثير من الأرواح من دخول عالم هاديس، ولذلك فإن مهارات اسكليبيوس تحدت القدرة الكلية لزيوس إذ ورد:

> **"ملئت شهرة اسكليبيوس الآفاق، حتى شفي كثيرون ممن لا يأملون في الشفاء، وهذا ما أظهره وكأنه أعاد الحياة لكثيرين، وهذا هو أصل القصة التي شكا فيها هاديس اسكليبيوس إلى زيوس متهماً إياه بالعمل على أنه تسبب بفقده نفوذه لأن الموتى يقلون باستمرار، إذ يعالجهم اسكليبيوس"**

فمما لا شك فيه أن نجاح اسكليبيوس المتكرر في علاج المرضى كان دافعاً لغضب هاديس وتقديم شكواه إلى زيوس متعللاً بخطر تهديد لمملكته جراء أعمال اسكليبيوس بإنقاذ البشر من براثن الموت، ويبدو أن شكواه وجدت آذاناً صاغية عند زيوس الذي خاف أن يتعالى اسكليبيوس بميزته المقدسة لكونه يحي البشر من الموت ويدفعهم إلى عدم التقوى للآلهة، ولذا أصدر حُكمُه بمنع اسكليبيوس عن ممارسة الطب خشية أن يتعلم الناس منه هذا الفن، وهذه الطريقة في العلاج، فينقذ بعضهم بعضاً من الموت، ومع استمرار اسكليبيوس بأداء عمله بهمة ونشاط رماه زيوس بصاعقة أردته ميتاً. (Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica, IV, 71, 1-4).

اشتعل سخط أبوللو بسبب قتل ابنه وانتقاماً قام بقتل العمالقة العور الثلاثة السيكلوبس Cyclopes الذين يشكلون الصاعقة المقدسة لزيوس. وفيما بعد عاقب زيوس أبوللو وألقاه داخل Tartarus، أقصى درجات الجحيم ولم ينقذه منها سوى شفاعة أمه، وسعى بعدها زيوس لتهدئة أبوللو فأعاد اسكليبيوس من هاديس وجعله خالداً ضمن أفراد كوكبة العقرب، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً لم يسع اسكليبيوس أبداً لإحياء البشر المتوفين.(Panagiotidou, O., 2016, pp. 4, 14-21) ولسوء الحظ لم يوجد مصدر يروي كيفية عودة اسكليبيوس إلى ممارسة الطب على الأرض مرة ثانية.

اسكليبيوس العبادة:

اتفق جُل الباحثين على ربوبية اسكليبيوس الأرضية وارتباطه بالعديد من الأماكن المقدسة والتي شُيد فيها مراكز عبادة ثابتة، على النقيض من آلهة الأولمبس غير المستقرين في مراكز أرضية ثابتة غير جبل الأولمبس، واتفق مؤرخو علم الطب على وجود مركز عبادة اسكليبيوس الرئيس في موطنه بثساليا منذ القرن السادس ق.م على أقل تقدير، حيث شُيدت الدور المقدسة وكُرست لعبادته وعُرفت باسم Asclepions، سواء في تريكا Tricca (وفقاً لما ورد في الإلياذة وهزيودوس) أو في أبيداروس (وفقاً للمكتشفات الأثرية).

ويمكن تحديد مدى عالمية عبادة اسكليبيوس في العالم القديم وتأثيرها، وذلك من واقع ما رصده العلماء من أماكن مقدسة له إذ بلغت أكثر من ثلاثمائة مقر في العديد من مدن العالم اليوناني الروماني آنذاك، ولعل الأكثر شهرة ذلك الذي شُيد في أبيداروس، ويقع في وادي محاط بالتلال المغطى بغابات الصنوبر حيث موطن الأفاعي، الحيوان المقدس، وتحولت المدينة إلى مركز كبير لعبادة اسكليبيوس، وانتشر منها لكل العالم القديم. وبصفة عامة فإن معابد اسكليبيوس العلاجية غالباً ما تقع في محيط ريفي بديع وأحياناً على شاطئ البحر أو بطول امتداد الوادي.(Graf, F., 1998, p. 86)

ونظراً لهذه العالمية فقد حرص مصممو معابد اسكليبيوس على أن تتناسب دائماً مع الأعداد المتزايدة من الأتباع والمريدين والراغبين في الشفاء، ولذلك جاء تصميم المعابد وما يُمارس فيها من طب علاجي متشابها إلى حد ما مع ما نعرفه اليوم بالمراكز الطبية المتخصصة أو مراكز الاستشفاء، ومن هنا جاءت معابد اسكليبيوس متناسقة مع البيئة المحيطة بها تعكس جمال الطبيعة وروعتها كراحة بصرية، كما تعكس هيبة المعبد والمعبود، ويوجد العديد من الأدلة الأثرية والأدبية الدالة على ذلك. (Gerald, D. Hart, 2000, p. 41)

ويعد المهندس المعماري بوليو فيتروفيوس Pollio vitruvius (القرن الأول ق.م) صاحب أفضل تصاميم لمعابد الرعاية الصحية في عصره، إذ يتضح من أعماله أنه كان صاحب بصيرة نافذة فوضع تصاميمه بما يتفق وحاجة زوار المعبد، ومن أجل تحقيق رعاية صحية ناجحة أدرك فيتروفيوس تأثير تصميم المعبد في نجاح العلاج، فسعى إلى تجنب مشكلات التلوّث المحتملة، وأكد على ضرورة قرب المعبد من ينابيع المياه، علاوة على ضرورة تهيئة الظروف البيئية الضرورية المساعدة لنجاح عمليات العلاج. (Vitruvius, 1960, pp. 151-79)

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 2, No. 18, Sep. 2021
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، السنة السابعة، المجلد السابع، العدد الثامن عشر، سبتمبر 2021
Issn :2710- 4141

ولفهم وسائل الراحة في معابد اسكليبيوس للاستشفاء وإمكانيات العلاج فيها فإن الدارس لهذا الجانب ليجد أن كل مراكز الاستشفاء في معابد اسكليبيوس تميزت بوجود السمات التالية:

1. العلاج باستخدام المياه الكبريتية الساخنة الطبية
2. العلاج باستخدام الماء من أجل النظافة الشخصية
3. العلاج بتطبيق برنامج رياضي في ملاعب المعبد
4. استخدام المسرح لتحقيق العناية الطبية اللازمة
5. العلاج باستخدام نظام غذائي خاص
6. العلاج بالمشاركة في المهرجانات ومواكب الاحتفالات
7. تشخيص المرض عن طريق النوم في حجرة الأحلام
8. العلاج الروحي باستخدام شعائر التطهير
9. المشاركة في شعائر المعبد وتقديم النذور وأداء التراتيل

وما من ريب في أن مصممو معابد ومراكز استشفاء اسكليبيوس أظهروا مهارة وبراعة فائقتين في استخدام هندسة الموارد المائية، فحفروا قنوات نقل المياه، وشيدوا الخزانات لحفظها لاستخدامها وقت الحاجة إليها، وصمموا النوافير والعيون التي يندفع منها الماء كيفما أرادوا، ولم يكن اهتمامهم الفائق بالماء من فراغ بل لأهميته القصوى للحياة والنظافة الشخصية، علاوة على أنه رمز للخلود لارتباطه بأعماق الأرض وبالآلهة السرمدية. لذلك ركز مصممو المعبد على الخصائص العلاجية للمياه، لاسيما المياه الساخنة المنبثقة من الينابيع الحارة، ووجدوا أنه لا غنى عنها لاستخدامها في شعائر السحر العلاجية، والتي تحقق الراحة والاسترخاء للمرضى بالتهاب الشرايين أو الروماتيزم، أو التليف، أو غيرها من الأمراض العضوية أو النفسية، وبديهي أن يلاحظ القوم سكون آلامهم بعد أدائهم لمثل هذه الشعائر والترانيم، أو عند أخذهم حمام دافئ والذي يصاحبه الحديث مع غيرهم من النزلاء في موضوعات شتى، كما أنه لازم لعملية تمثيل الغذاء، وخلاصة القول أنهم يمرون بتجربة روحية وعضلية مهمة، وخبرة جديدة تزيد من مقاومتهم للأمراض وتسهم في تماثلهم للشفاء. (Edelstein, E, & L., 1945, p. 409) وفيما يبدو أن في كل معبد استشفاء لاسكليبيوس كانت توجد عين مياه مقدسة.

وإلى جانب هؤلاء المرضى هناك الرَّحالة والمسافرون الذين تدفعهم مشاق السفر إلى ظل المعبد رغبةً في إزالة أدرانهم بمياه الينابيع الحارة المقدسة، والاستمتاع بمياه الحمامات المتدرجة في حرارتها، والشعائر وباقي مقومات الراحة التي تخلق نوعاً من الاسترخاء والسلام الداخلي، ويبدو أن تعرض الجسم اليومي لكمية كبيرة من المياه سواء مياه الاستحمام العادية أو الكبريتية الساخنة يساعد على إزالة الضغوط النفسية وتوترات العمل المتراكمة. (Graf, F., 1992, p.201)

أوضح فيتروفيوس في وصفه تأثير الجيولوجيا المحلية على مذاق الماء وتركيبه، وذكر أن أهمية عيون المياه الحارة ترجع إلى وجود الكبريت والإليوم وعناصر التربة الأخرى، التي تؤثر في حمضية الماء أو قلويته،

واستنتج أن المياه المتدفقة من ينابيع الكبريت تساعد على انتعاش الذاكرة، وهي علاج لمن يعانون الضعف العقلي، كذلك استنتج فيتروفيوس أن الإليوم كمادة علاجية يفيد في علاج حالات الشلل الناتج عن ضمور العضلات. (Trümper, M., 2014, pp. 211-231).

وها هو العلم الحديث يثبت اليوم أن العلاج بالتسخين الناتج عن ارتفاع درجة حرارة المياه يساعد على زيادة حركة الدورة الدموية، فيؤدي هذا النشاط إلى وصول الدم إلى مناطق الآلام الملتهبة فتتسع معها أنابيب الشعيرات الدموية مما ينتج عنه تخفيف آلام الالتهابات ثم زوالها. كذلك أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن استنتاجات فيتروفيوس ووصفه لطرق العلاج دقيقة، ويلجأ الأطباء المعالجون لحالات ضمور العضلات إلى استخدام وسيلة المعالجة بتيارات الماء المخلوط بالكلور، بحيث يساعد طفو الأطراف على تحريك العضلة المشلولة، بينما تساعد التيارات المائية المخلوطة بالكلور في علاج العيوب الداخلية للعضلة – أي أنه يماثل ما يُعرف اليوم بـ "الجاكوزي"– وأيضاً يُستخدم في علاج مجموعة من الأمراض الجلدية لعل من أهمها الصدفية، وكذلك أيضاً يساعد امتصاص الجسم للماء القلوي على تطهير الأمعاء، كما أن شرب ماء الينابيع الحمضي يفتت حصى المثانة.(Jackson R., 1990, pp. 1-13.)

معبد اسكليبيوس في إبيداوروس:

كانت أشهر معابد اسكليبيوس في إبيداوروس وكوس وبرجامة، وقد اكتسبت شهرة عالمية في وسائل الراحة والعلاج واجتذبت إليها الأثرياء والمشاهير من كل مكان، وما من شك في أن أشهرها وأقدمها قاطبة معبد إبيداوروس، الذي تأسّس في القرن السادس ق.م، وهو أيضاً أكثرها ملائمة لعلاج المرضى – في رأى عدد من الأطباء – بتصميمه المعماري المتميز، ومنحدراته وأروقته ومبانيه الفخمة، إذ كان المعبد يتكون من: مداخل فخمة، وممر مقدس يؤدي إلى معبد سداسي الشكل لاسكليبيوس، وهناك أيضاً طريق ملتوية بها ستة وعشرون عموداً من الطراز الدوري، ومنطقة للنوم، وبالإضافة إلى ذلك هناك ممر يحفه صفان من الأعمدة طوله سبعون متراً، ومذبح هائل لاسكليبيوس ومعبد سداسي لأرتميس، ثم حجرة تمارين رياضية، ورواق إغريقي ذو أعمدة، ومسرح روماني مسقوف، وحمامات إغريقية ورومانية، وبيت ضيافة، وأروقة مُعَمَّدة مسقوفة، ومعابد صغيرة لأبوللون واسكليبيوس وأفروديت وثيميس، ومكتبة، ونافورة مقدسة، وألواح نُقشت عليها طرق العلاج المختلفة. (Papadakis, T., 1972, p. 14)

معبد اسكليبيوس في جزيرة كوس:

أما معبد اسكليبيوس في كوس فكان يقع فوق قمة تل، وكان محاطاً بأشجار الصنوبر، بشكل يكفل للمبتهلين ومقدمي القرابين منظراً ملهماً ومثيراً، ويجعل، في الوقت نفسه الوصول إلى المعبد عسيراً

على الضعفاء من المرضى والمعاقين. وفي القرن الخامس ق.م أسس أبيقراط في كوس مدرسة طبية، وساعدت شهرته الطبية على جعل مركز كوس جزيرةً مقدسةً ومركزاً لعبادة اسكليبيوس، ويُقال إنه كان يلقى دروسه جالساً تحت شجرة صنوبر مازالت قائمة حتى الآن، ويقال إنها أقدم شجرة قائمة في أوربا. (Davaris (D., 1978, pp. 42-45

معبد اسكليبيوس في برجامة:

ثالث معابد اسكليبيوس الشهيرة، أُسس حوالي عام 350 ق.م، في مكان يُقال إنه نجا فيه وعولج من إصابة ألّمت به في رحلة صيد، وكان معبد برجامة أضخم حرم مقدس في آسيا الصغرى، وتتضح أهميته من الأطلال الأثرية واسعة الانتشار ذات الصلة به، والعملات الكثيرة التي عُثر عليها لتشكل ما يمكن أن يُسَمَّى سجلاً فريداً لخصائص المعبد المعمارية، لاسيما وقد احتفظت برجامة بمكانتها لمدة طويلة، حتى غدت عام 333 ق.م عاصمة للأراضي الرومانية في آسيا، ومن ثم أهم مدينة رومانية في المنطقة المعروفة الآن بالشرق الأوسط.

وصف إيليوس أريستيديس Aristides (القرن الثاني الميلادي) ينبوع الماء وسط مجمع المعابد في برجامة عند إشارته لاسكليبيوس قائلاً:

"اكتشف (اسكليبيوس) هذا الينبوع صانع المعجزات فنُسب إليه، وهو الذي يقوم بدوره خير قيام في حفظ صحة الجنس البشرى، ويقع موقع الدواء (يحل محل الدواء) لكثير من أفراده؛ لأن كثيرين ممن اغتسلوا فيه استعادوا أبصارهم، وشُفي كثيرون ممن شربوا منه من أوجاعٍ صدرية، واستعادوا النفس الطبيعي (الحيوي)، وشفي الأقدام أحياناً، أو أجزاء أخرى من أجسام آخرين؛ حتى إن أحد المرضى لا ينطق (أبكم) شرب من مائه فاستعاد صوته على الفور، كما لو كان من الذين يشربون المياه المقدسة فيصبحون ملهمين. ومن الجيد معرفة أن العلاج لم يقتصر على المرضى فحسب، بل لأولئك الأصحاء أيضاً، حتى يغدو استخدام أي ماء آخر غير ملائم".(Russell, D.A., 2016, pp. 38-45)

وما من ريب في أن ما ورد ذكره لهو أحد أهم دعائم طب المعبد آنذاك، وهي القوى العلاجية الجسمانية والنفسية لمياه ينبوعه، والتي كان القوم يرون فيها دواءً لكل داء، وليس هذا بغريب فمازالت مثل هذه الأمور العلاجية قائمة حتى الآن في أغلب البلدان والتي يتوفر فيها ينابيع المياه العلاجية وتقام عليها منتجعات الاستشفاء ولعل أشهرها في أوربا وأمريكا الشمالية.

مراسم أداء الشعائر الدينية في معابد اسكليبيوس:

تميزت الشعائر الدينية في معابد اسكليبيوس عن غيرها في باقي معابد الآلهة، ولعل هذا التميز يرجع إلى أن شعائر معابد الآلهة الأخرى تعتمد على الشعوذة والسحر، بينما شعائر معابد اسكليبيوس ترتكز على أُسس علمية صحيحة، ولذلك كان رواد معابد اسكليبيوس يتلقون أرقى درجات الرعاية الطبية (Walton, A. 1894, pp. 10-12).

تمتع كهنة معابد اسكليبيوس بأعلى سلطة لكونهم رجال دين وعلوم طبية في الوقت نفسه، فكانوا يشرفون على تقديم الأضاحي ويحافظون على التعليمات والإرشادات ويحرصون على أداء الشعائر بكل دقة وإخلاص حتى يضمنوا تمام الشفاء لمريديهم. كما أشرفوا على "العلاج العقلي" لعدد من المرضى المختارين، وكانوا يحددون فترة زمنية معينة للإعداد للمرحلة النهائية من شعائر المعبد وتراتيله، وكان هذا الإعداد يتضمن علاجاً بالعزل في غرفة الأحلام، وكانوا مسئولين أيضاً عن تسجيل الهبات ومراجعة ميزانيات المعبد، وهو دور يشبه دور مدراء المستشفيات الحديثة الآن.

ذكر أريستيديس Aristides أن الهيئة الكهنوتية لمعابد اسكليبيوس والمكونة من المريدين والأتباع كانت تساعد الكاهن الأكبر في تحمل المسئوليات المختلفة الملقاة على كاهله، وكان لهذه الهيئة مراسم احتفال يرددون جميعهم التراتيل التالية:

"استيقظ يا اسكليبيوس يا سيد البشرية، يا راجح العقل، يا ابن ليتو ونبلاء كورونوس، اطرد النوم عن عينيك، واستمع لصلواتنا ودعواتنا، نحن نلوذ بك، نحن عُبَّادك نستدرُّ عطفك، الصحة يا اسكليبيوس يا ذا العقل الراجح. استيقظ وابتهج بالاستماع إلى تراتيلنا، أنت الذي تناديه صيحاتنا من أجل إسقاط المطر". (Steger, F., 2016, pp. 129-142).

يبدو أن أداء تلك التراتيل والتي تصاحبها الموسيقى الكهنوتية كان أحد وسائل العلاج بالموسيقى، وذلك لخلق بيئة ملائمة تساعد على تحقيق الهدوء والاستقرار الداخلي وتنزل السكينة والغبطة في نفوس الحضور. (Parker, R., 2016, pp. 68-70).

وأكدت المصادر أن اسكليبيوس كان هو الملاذ في المصائب والشدائد التي تنزل بالقوم كالطاعون أو المجاعة أو الفيضان، فسجل المؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس Titus Livius (59 ق.م-17م) مراسم احتفال كبير طالب فيه مجلس العشرة (الذين جمعوا القوانين ونظموها) تخصيص يومين للصلاة من أجل الصحة، لا في المدينة وحدها بل في كل ربوع المستوطنات والمجتمعات الريفية أو النائية أيضاً، وأن يرتدي كل من جاوز الثانية عشرة من الناس تاجاً، ويمسك إكليلاً، ويتضرعوا جميعهم ويبتهلوا لاسكليبيوس. (Livius, Ab Urbe Condita, XL, 37, 2-3)

كانت شعائر تقديم الأضاحي من بين شعائر معابد اسكلبيبوس المهمة، وكانت تؤدى خارج المبنى الرئيس وكانت الكباش أو الديوك هي أساس الأضحى، ويجوز تقديم أضاحي الثيران في المناسبات الخاصة والاحتفالات الكبرى والتي يحضرها عادة رجالات السياسة المرموقين، وكانت تقدم أجزاء من الأضحية إلى كاهن المعبد، وسجل بلوتارخ على لسان سقراط وهو يحتضر: "كريتو... نحن مدينون بديك لاسكلبيبوس ادفعه ولا تهمله... افعل ذلك". ونتيجة لاستخدام الديكة كأضاحي في شعائر معابد اسكلبيبوس أن غدا الديك الرومي رمزاً من رموز شعائره، واعتقد القوم أن صياحه صباحاً يطرد أرواح الظلام ويمنع الأمراض وييسر الولادة. ومازالت التضحية بالديكة قائمة حتى الآن في اليونان خاصة في المناطق الريفية، إذ يعدونها تعويذة تجلب الحظ السعيد لاسيما عند وضع أساسات منزل جديد. (Walton, A., 1894, pp. 78-80)

تضمنت معابد اسكلبيبوس أماكن وبرامج علاجية للترفيه، وتمثلت وسائل الترفيه والراحة في وجود مسرح صغير مسقوف للتمثيل والموسيقى، وآخر كبير على مساحة واسعة من الأرض المحاطة بالتلال، وملعب رياضي، ومكتبة وحمامات، ووسائل ترفيه أخرى متنوعة. فقد أعطى المسرح الصغير الفُرصة لصغار المؤلفين لقراءة نثرهم، أو إلقاء قصائدهم على عدد قليل من الجماهير، وكان يُسمح لعدد من المرضى بتأليف قصائد شعرية أو خطب ومقالات نثرية أثناء إقامتهم للعلاج على أن يقوموا بإلقائها على المسرح الصغير أثناء الاحتفالات، وكانت هذه أحد طرق علاج المرضى، وذلك من خلال تحفيز الهمم عند المريض وتوجيه نشاطه بعيداً عن الاكتئاب، أو ما يسميه الأطباء النفسيين تفريغ الطاقات المكبوتة.

ولقد طبقت معابد اسكلبيبوس نمط علاجي باستخدام الضحك في العلاج، فكان المعالجون في المعابد يشجعون المرضى ويسمحوا للأدباء أيضاً بإبداء التعليقات الساخرة كنوع من إخراج الطاقات ولم تسلم حتى آلهتهم من تعليقاتهم، كما أدرك أيضاً المعالجون في المعابد فوائد العلاج بالتنفيس وهو التخلص من عقدة نفسية بإفساح المجال أمامها للتعبير عن نفسها تعبيراً كاملاً، وهو ما يطلق عليه أرسطو اسم "التطهير" Katharthis، وكانوا يستخدمون رواية أحد الأعمال التراجيدية الأكثر مأسوية من حالة المريض حتى يساعدوه على تخطي تجربته النفسية القاسية، ويدرك أن مشكلته الشخصية ليست إلا أمر تافه قياساً على ما سمع، فترفرف عليه السكينة ويشمله الهدوء والاستقرار النفسي، ونتيجة لهذا البرنامج العلاجي نشأت صلة وثيقة بين أسلوب العلاج والمسرح، ولذلك وجد عدد كبير من المسارح ضمن نطاق حرم معابد اسكلبيبوس، ونجح كهنة المعبد ومعالجوه من ربط الدين بالترفيه والمرح. (Panagiotidou, O., 2016, pp. 8-14)

وفي المهرجان كان لكلٍ دوره، فالشعراء وكتاب المسرح يتبارون بأشعارهم ومسرحياتهم من أجل الجوائز، والأطباء يشاركون في المسابقات الطبية، ويعرضون مقالاتهم في التشخيص والعلاج والأساليب الجراحية، وتصميمات المعدات الطبية الجديدة. كما تضمن سجل معبد اسكليبيوس في إفسوس في آسيا الصغرى العديد من المناظرات الطبية، ومن بينها مناظرة تؤرخ بالقرن الثالث الميلادي، تشكلت فيها هيئة المحكمين من كاهن اسكليبيوس ورئيس هيئة الأطباء، وذكر السجل فوز فاريوس روفوس Varius Rufus بجائزة المقالة، في حين فاز إليوس فيندار بجائزة الجراحة. وما من ريب في أن هذا الأمر ليتشابه إلى حد كبير مع الجوائز التي تمنح سنوياً من الكلية الملكية للأطباء والجراحين بلندن، والمنح الكندية للتميز في البحث الطبي أو الجراحي، ومنح الكلية الأمريكية للأطباء.(Leigh, M., 1996, pp. 171-197)

كانت الملاعب الرياضية لمعابد اسكليبيوس ساحة للمسابقات الرياضية والمنافسات الحركية المختلفة كالألعاب السويدية والمصارعة والملاكمة وسباقات الجري وسباقات الخيول، ويشارك فيها كل من الهيئة المعالجة بالمعبد والمرضى النزلاء والمشاركين من الخارج وهى تحقق بالفعل الإثارة والمتعة وتُشبع الرغبة في التنافس والرهان وتعد أحد أهم وسائل العلاج لكثير من المرضى. (Masterson, D. W., 2021, pp. 196-202).

وأخيراً فقد انتهج مصممو معابد اسكليبيوس وكهنته سياسة الراحة النفسية للمرضى، فجعلوا أول ما يستقبل المريض أو غيره من الأصحاء في المعابد العلاجية تمثال اسكليبيوس المقام في صحن المعبد فيجد الداخل إلى المكان الطمأنينة والراحة النفسية وهى تساعد بدورها في عملية العلاج، يضاف إلى ذلك أنهم نجحوا في غرس الطمأنينة والأمان في نفوس المرضى غير القادرين على دفع نفقات العلاج، وذلك بتطبيق نظام التكافل الاجتماعي بين المرضى القادرين مادياً وغير القادرين (Walton, A., 1894, pp. 71-72)، ويتشابه هذا الأمر مع ما تطبقه أغلب المستشفيات في عصرنا الحالي بوجود أقسام العلاج كأقسام العلاج الاستثماري، والعلاج الاقتصادي، والعلاج المجاني.

اسكليبيوس الرمز:

بلغت مهارات اسكليبيوس الطبية منزلة رفيعة ولذلك لم يصبح رمزاً للطبيب الجيد فحسب، بل أصبح رمزاً ومعياراً للشفاء الديني والروحي (Perlstadt, H., 2016, p. 1052)، وإذا كانت المعادلات الكيميائية والقوانين الفيزيائية هي معيار العلوم البشرية في العلاج، فإن اسكليبيوس لم يكن في نظر من عاصروه – وفيما بعد عصره – سوى معجزة الشفاء، ولذلك ارتضى له القوم منذ البداية رمز الثعبان لعلاقته

القوية بالمعتقدات الأزلية، فهو لديهم رمز الإله في منزل الروح، أو هو الروح، أو هو رمز الروح (Perlstadt, H., 2016, pp. 1048-1053).

كان الثعبان أحد أقدم الرموز انتشاراً في الحضارات القديمة لارتباطه بالعلاج والسحر، علاوة على أنه أستحوذ على جانب كبير من الخيال البشري، فنشأت بينه وبين الإنسان منذ نشأته علاقة وطيدة تباينت بين الخير والشر والعبادة. وما من شك في أن العلاقة بينهما تمحورت حول القوة الروحية الكامنة في الثعبان، والتي أصبح لها التأثير الخاص في حياة الإنسان شأنها في ذلك شأن الظواهر الكونية المختلفة مما دفع الإنسان إلى عبادتها إما لخير يرجوه منه أو لشر يدرأه عنه (Nayernouri, T., 2010, pp. 61-65).

ولذلك ارتبطت سلالات وهيئات وسلوكيات الثعابين عند الأقدمين بعدد من الدلالات الرمزية:

1- فتغيير جلودها السنوي يرمز إلى قدرة التغلب على الموت والنجاة من المرض، أي مولد جديد وتكاثر.

2- ترمز جحورها إلى بوابات العالم السفلى، ولذلك فالثعبانين هي القادرة على الاتصال بالموتى.

3- يرمز التفاف الثعابين حول نفسها إلى السرمدية والخلود.

4- كما يرمز اختفاء الجهاز التناسلي للثعابين إلى القدرة الخفية على التناسل.

5- وترمز نظراتها الحادة إلى الحكمة.

6- ويرمز ندرة نومها إلى الحيطة والحذر.

7- ويرمز حب شربها اللبن إلى قدراتها في التغلب على فرائسها الأكبر حجماً.

8- نظراً لسكناها في الأحراش وبين الشجيرات فهي الأكثر علماً بخصائص العلاج والنباتات الطبية.

9- ترمز الثعابين عامة في أغلب الحضارات القديمة إلى الشفاء.

وعلى أية حال فقد ارتبط الثعبان في العقائد الإغريقية بعدد كبير من الآلهة وليس اسكليبيوس فحسب، فظهرت أثينا ترتدي قلنسوة مزخرفة بشعار الثعبان، وتزينت بصدرية كبيرة ذات أصداف زخرفت برؤوس الثعابين وبصور الغرغونة خاصة الميدوزا ذات شعر الثعابين، كذلك ارتبط أبوللو بالثعابين بصفته كاهن دلفي وذابح الأفعى العملاقة بيثون Python والمستولي على الضريح الكهنوتي من الأم الأرض، علاوة على ظهور هرمس حاملاً صولجان يلتف عليه ثعبانين متقابلين كرمز للتواصل بين الناس والسلام والتجارة. ومجمل القول أن الآلهة التي ارتبطت بالثعابين كان لها خصائص الحماية والعلاج والشفاء والتجدد والخصوبة والوحي (Grimal. P., 1986, p.127; Cosmopoual M., 2003, p.221).

اسكليبيوس والثعابين:

ذكرت الأساطير أن الثعابين قامت بدور الحماية لاسكليبيوس وقتما كان طفلاً على قمة جبل بيليون، وعلمته خواص الدواء بالأعشاب الطبية، ومن شدة ارتباطه بها في الأساطير ذُكر أن اسكليبيوس يتحول إلى ثعبان، والثعبان يتحول إلى اسكليبيوس، ولعل هذا يفسر دور الثعابين ضمن شعائر معابد اسكليبيوس العلاجية، ليس هذا فحسب بل كانت من أساسيات شعائر تأسيس معابد اسكليبيوس.(Nayernouri, T., 2010, pp. 62-64).

ووصف علماء الزواحف ثعبان اسكليبيوس وذكروا أنه من فصيلة الثعابين قد يصل طوله في المعتاد إلى 140سم ولا يتجاوز المترين، بينما يتراوح قطره من 1 حتى 3.1 سم، ويتميز بسرعة حركته، ويُصدر أحياناً صوتاً يشبه صوت المضغ إذا اقترب منه أحد، كما يندر وجوده خارج الأرض، ويتميز بسرعة تسلقه جذوع الأشجار والالتفاف حولها انتظاراً لاصطياد فريسته، كذلك ذكر الباحثون أن غذاء هذه الثعابين من الثدييات والطيور الصغيرة، كما أنها ليست ضارة بالإنسان ويمكن معاملتها معاملة حيوان أليف. وقد نجح الإغريق في تجسيد صفات وخصائص ثعبان اسكليبيوس وبصورة جيدة على العملات القديمة، كما صوروا إله الصحة والعافية عندهم وهو يقرب ثعباناً ضخماً من النوع غير الضار إلى فمه، وقد ظهر هذا الثعبان بحجم ضخم مصاحب لاسكليبيوس في التماثيل والتصاوير (Arnold E.N., Burton J.A., 1978, (p. 42

ووفقاً للتوزيع الجغرافي الحالي لفصيلة ثعابين اسكليبيوس يتبين أن مواطنها تتركز عند المناطق الحدودية للدولة الرومانية زمن يوليوس قيصر، وفسر بعض الباحثين ذلك بأن موطنها يتركز من مناطق الحياة البرية وهو ما لاحظه القدماء وقرنوها بالأعشاب والنباتات الطبية (Schmidt K.P., RF., 1957, p. .(211; Laughlin V.L. 1958, pp. 82- 92

ورصد الباحثون أيضاً نوع آخر لثعابين اسكليبيوس يسمى E-quattuorlineata وهو أكثر طولاً من السابق إذ يربو على المترين ونصف، كما أنه أغلظ قليلاً إذ يبلغ قطره حوالي 4 سم، ولكنه أكثر جرأة وأشد بطئاً، وينتشر حالياً في إيطاليا والمناطق الساحلية لليونان وحول بحر إيجه. ويبدو أن اختيار كهنة اسكليبيوس لمثل هذه الثعابين بنوعيها ربما رغبة منهم في حفظ أغراض المعبد بعيداً عن تدمير القوارض خاصة الفئران والتي تسبب تفشي مرض الطاعون. وأيضاً يبدو أن استخدام هذه الثعابين في شعائر العلاج ربما لفائدة ما يفرزه لعابها من مادة مطهّرة، وهو ما أكده الأطباء الإيطاليون بهذا الشأن، أي أن الأمر يرتبط بالتفسير الفسيولوجى لفوائد العلاج بلعق ثعابين اسكليبيوس، ويؤكد ذلك نقش تذكاري على العمود

الحجري في إبيداوروس يروي قصة علاج رجل من تورم والتهاب حاد في أصابع قدميه باستخدام لسان أفعى من أفاعي المعبد المقدس. (Angeletti L.R., 1992, pp. 223-5)

رمز ثعبان اسكليبيوس:

استخدم أتباع اسكليبيوس رمز الثعبان الملتف حول عصا كتعويذة سحرية للعلاج، وكان هذا الرمز يأخذ أحياناً أشكالاً يظهر فيها الثعبان بصور غير تقليدية، له أجنحة أو زخارف نارية، وعثر على قطعة عملة تصور اسكليبيوس ممسكاً عصاه ويمتطي ظهر ثعبان طائر في إشارة إلى أبوللو (Seeger, P., 1966, pp. 29-32). ومع انتشار المسيحية اختفي رمز الثعبان الملتف حول العصا من الرموز الطبية، ماعدا العملة اليونانية والرومانية إذ استمر ظهوره لمئات السنين بعد ذلك العهد، كما ظهر مصوراً أيضاً على مقدمة السفينة الرخامية في كنيسة القديس Bertolomeo della Isola، ويوجد رمز مشابه في المسيحية يصور شفاء موسى من طاعون الأفاعي بإقامة أفعى نحاسية على عصا (Gerald, D., Hart,2000, p. 45)، وفي القرن السادس عشر مع بدايات عصر النهضة ظهر رمز اسكليبيوس ثانية واستخدمه الأطباء، وحقق انتشاراً كبيراً لتشابهه بحية موسى، ومازال تصويره قائماً حتى الآن في شارات النيل، وفي معظم الجمعيات الطبية في العالم، كما أنه شعار منظمة الصحة العالمية.

وربما ترجع أصول عصا اسكليبيوس إلى أن أطباء اليونان الأوائل كانوا يرحلون من قرية إلى أخرى لمداواة المرضى، وكانت الطرق بين القرى وعرة موحشة، ومع مثل هذه الطرق تكون العصا ذات نفع كبير، في السير والدفاع عن النفس، ومن هنا جاء – على الأرجح – شعار الأطباء الذي يشبه العصا ذات الرأس الذهبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فيما بعد، وكان هذا المحجن يصور على العملات بطريقتين؛ فهو إما قصير تقبض عليه اليد اليمنى، أو طويل يتأبطه اسكليبيوس . أو الطبيب الذي يمثله تحت إبطه الأيسر (Rillo A. G., 2008, pp. 389-393).

نسج الكُتَّاب القدامى الكثير من الروايات عن رمزية هذه العصا إذ شرحها فيستوس Festus – على سبيل المثال لا الحصر – في القرن الثالث الميلادي على أن كثرة العقد فيها ترمز إلى صعوبة فن الطبيب، ويرى كورنوتوس Cornutus من قبله –القرن الأول الميلادي– في العصا رمزاً للمساعدة والدعم الذي يقدمه الطبيب ليحول دون انتكاس المريض أو تأخر الشفاء، بينما يذهب يوزيبيوس Eusebius (حوالي سنة 300م) إلى أن العصا رمز للعون المقدم للعاجزين (Eusebius, 1903. p. 50).

ويؤيد هذا تمثال من المرمر في متحف فيتزويليام Fitzwilliam في كمبردج بإنجلترا، يظهر فيه اسكليبيوس حاملاً عصاً طويلة تنتهى بقضيب مستعرض للدلالة على مزيد من الدعم والمساعدة. وقد أشار

أيبقراط إلى العصا إشارة خاصة حين وصف احتفالاً في بستان للسرو كان للعصا فيه دور واضح "كان يحملها أولئك الذين لهم علاقة بالآلهة" (Hippocrates, Epistolae, 11).

ولعله يشابه تماماً الآن احتفال المجمع الإنجيلي الجامعي لمنح الشهادات العلمية لطلبة الطب، وعلى أية حال فإن أشكال رمز العصا أو الثعبان، أو الرمز الجامع بينهما أصبح أساسي الظهور على أكمام المعاطف الطبية ويتباين شكله من مكان إلى آخر، فعلى سبيل المثال تستخدم الهيئة الطبية البريطانية شعاراً عبارة عن عصا مسحوبة تنتهي بنهاية مدببة تلتف حولها أوراق الشجر إشارةً إلى الزيادة والنمو الدائم لعلوم الطب، في حين يتكون شعار الكلية الملكية للأطباء والجراحين الكندية من عصا غليظة ومتينة وثعبان شديد القوة، وكما تجسدت رموز ثعبان اسكليبيوس على المعاطف الطبية جسدتها أيضاً أدوات الجراحة ذاتها، إذ وُجد محفوراً على مقابض الكلابات الجراحية المسماه Goudee ووجدت أمثلة له في ترير Trier بألمانيا و Little borough بإنجلترا، ويبدو أن ذلك ليس بجديد في الأدوات الجراحية إذ استخدم الجراحون الرومان في مراكز اسكليبيوس للطب العلاجي مسباراً أو مجساً، أو رافعة للأوتار أو الأوعية الدموية أو الأربطة، وكان المقبض الذي يمسك به الجراح على شكل ثعبان، وهكذا جمع التصميم البارع لهذه الأدوات بين الفائدة العملية وتجسيد اسكليبيوس الرمز (Raiph Jackson & Kevin Leahy, 1990, pp. 271-274).

****

مراجع الدراسة

أولاً. المصادر:

1. Apollodorus, Bibliotheca (L. C. L.).
2. Celsus, De Medicina, Translated by W. G. Spencer, 3 vols. (L. C. L.).
3. Diodorus Siculus, Bibliotheca Historica, (L. C. L.).
4. Hippocrates, Epistolae. (L. C. L.).
5. Homer, Iliad, Translated by A. T. Murray (L.C. L.).
6. Livius, Ab Urbe Condita. (L. C. L.).
7. Ovidius, Metamorphoses, (L. C. L.).
8. Pindarus, Pythiae. (L. C. L.)
9. Eusebius of Caesarea Praeparatio Evangelica, Translated by E. H. Gifford (1903).
10. Vitruvius, The Ten Books on Architecture, Book 8, Chapter 3, Translated by Morris Hicky Morgan, Dover, New York 1960.

ثانياً. الموسوعات:

1. *Encyclopedia Britannica*, 11. Edition, Encyclopedia Britannica Company, New York 1910.

ثالثاً. المراجع العربية والمترجمة:

1. زايد، عبد الحميد: (1985)"*الرمز والأسطورة الفرعونية*"، مجلة عالم الفكر . تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . دولة الكويت، المجلد السادس عشر – العدد الثالث (أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر) / ديسمبر .
2. الناصري، سيد أحمد علي: (1976) *الإغريق تاريخهم وحضارتهم*، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة.
3. تشرني، ياروسلاف: (1996) *الديانة المصرية القديمة*، ترجمة: أحمد قدري، مراجعة: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة.
4. علي، رمضان عبده:(2001) *تاريخ مصر القديم*، الجزء الأول، دار نهضة الشرق، القاهرة .

رابعاً. المراجع الأجنبية:

1. Angeletti L.R., et-al, (1992), *Healing rituals and sacred serpents*, Lacnet.
2. Arnold E.N., Burton J.A., (1978) *The Field guide to the reptiles and amphibians of Britain and Europe*, London, Collins Field Guide,.
3. Aulus Cornelius Celsus, (1831), *A Translation of the Eight Books of Aul. Corn. Celsus on Medicine*, Book 1, Preface, Second Edition, revised by G. F. Collier, Simpkin and Marshall, London.
4. Bajnok, Dániel, (2014),"*Aeschines' Inscription in Epidaurus? An Old Question Revisited*", Graeco-Latina Brunensia 19, 1.
5. Cosmopoual M., (2003) *of Ancient Greek Mysteries. The Archaeology and Ritual of Ancient Greek Secret cults*, Routledge, New York,.
6. Cunliffe, Barry, (1979) *The Celtic World*, *Published by McGraw-Hill Companies*, New York.
7. Davaris D., Kos: (1978) *Hippocrates Island*. Trans. by Heath M., Karydakis Bros, Athens.
8. Davies, H., (1974) *A Walk Along the Wall*, Published by George Weidenfeld & Nicholson, London.
9. Edelstein, E. J. & Edelstein, L., (1998) *Asclepius: A Collection and Interpretation of the Testimonies*, Volume 2. 2nd ed., Arno Press, New York.
10. Edelstein, Emma & Ludwig, (1945) *Asclepius* A Collection and Interpretation of the Testimonies, Vol. I, Baltimore.
11. Eusebius of Caesarea: (1903) *Praeparatio Evangelica*, Translated by E. H. Gifford.
12. Gerald, D. Hart,(2000) *Asclepius*: The God of Medicine, Royal Medical Society, London.
13. Graf, F., (1998) "*Asclepius*", in: The Oxford Companion to Classical Civilisation, by Simon Hornblower and Antony Spawforth (eds.), Oxford University Press, Oxford.
14. Graf, F.,(1992) *"Discussion"*, in: Le Sanctuaire Grec, Fondation Hardt, Geneva.

15. Grimal P.,(1986), *The Dictionary of Classical Mythology*, Blackwell Bublising, Oxford,.
16. Guirand, F.,(1959), *Larousse Encyclopedia of Mythology*, Published by Readers Union, London.
17. Haggard, H.W.,(1929) *Devils*, Drugs and Doctors, New York.
18. Horstmanshoff, H. F., (2004)"*Asclepius and temple medicine in Aelius Aristides, Sacred Tales*", Studies in Ancient Medicine 27,.
19. Isakov, N., (2018)*"On Healing Powers: Asclepius, Caduceus and Antibodies"*, in: *Asclepius Medical Case Reports*, Vol. 1, Issue 1,.
20. Jackson R., (1990) *"Waters and spas in the classical world"*, Medical history: Suppl. No. 10,.
21. Kaufmann, M., et-al. (1994) Studia Troica, Vols. I-IV, Verlag, Philip von Zabern, Mainz.
22. Laughlin V.L. (1958) *The Aesculapian Staff and The Caduceus as medical symbols*, Journal International College Surgeons 37 (4),.
23. Leigh, M., (1996) *"Varius Rufus, Thyestes and the Appetites of Antony*", Proceedings of the Cambridge Philological Society 42,.
24. Masterson, D. W., (2021) *"The Ancient Greek Origins of Sports Medicine*", Sports Medicine 10, January.
25. Nayernouri, T., (2010)*"Asclepius, Caduceus, and Simurgh as Medical Symbols"*, Archives of Iranian Medicine, Volume 13, Number 1, January.
26. Panagiotidou, O., (2016)*"Asclepius*: Myths and Healing Narratives: Counter-Intuitive Concepts and Cultural Expectations", Open Library of Humanities 2(1)e6.
27. Papadakis, T.,(1988) *Epidauros: The Sanctuary of Asclepius*. 7th ed. Zurich: Verlag, Schnell and Steiner.
28. Papadakis, T., Epidaurus: The Sanctuary of Asclepios, Munich: Schnell & Steiner, 1972.
29. Parker, R., (2016)" *Religion in the Prose Hymns:2. The Prose Hymn", in: In Praise of Asclepius*: Aelius Aristides, Selected Prose Hymns, edited by Donald A. Russell, Tübingen.
30. Perlstadt, H.,(2016) *"The Plague of Athens and the Cult of Asclepius: A Case Study of Collective Behavior and a Social Movement*", Sociology and Anthropology 4.12.
31. Raiph Jackson & Kevin Leahy, (1990)" *A Roman Surgical forceps from near Little borough and a note on type*", Published by: Society for the Promotion of Roman Studies, Britannia 21,
32. Rillo, A.G., (2008) *" The Greek Origin of Caduceum: Æsculapius*", Colombia Médica Vol. 39 Nº 4, Octubre-Diciembre.
33. Risse, G.B, (1986)"*Imhotep and medicine-A reevaluation*", The Western Journal of Medicine 144, May.
34. Roman, L. & Roman, M., (2010) *Encyclopedia of Greek and Roman Mythology*, Facts On File, Inc., New York.

35. Russell, D.A.(2016)Texts and Translations: "*The Sons of Asclepius", in: In Praise of Asclepius*: Aelius Aristides, Selected Prose Hymns, edited by Donald A. Russell, Tübingen.
36. Russell, D.A., (2016)Texts and Translations: *"Address to Asclepius", in: In Praise of Asclepius*: Aelius Aristides, Selected Prose Hymns, edited by Donald A. Russell, Tübingen.
37. Russell, D.A., (2016)Texts and Translations: *" On the water in Pergamum"*, in: In Praise of Asclepius: Aelius Aristides, Selected Prose Hymns, edited by Donald A. Russell, Tübingen.
38. Schmidt K.P., RF. (1957) *Reptiles of the World, Hannover House*, Garden City, New York.
39. Seeger, P., (1966) *The Staff of Asclepios*. *Image Roche* 14
40. Seltman, C., (1961) *The Twelve Olympians*, Pan Books, UK.
41. Steger, F., (2016)"*Aristides, Patient of Asclepius in Pergamum*", in: In Praise of Asclepius: Aelius Aristides, Selected Prose Hymns, edited by Donald A. Russell, Tübingen.
42. Trümper, M.,(2014) "*Bathing in the Sanctuaries of Asklepios and Apollo Maleatas at Epidauros*", in: Approaching the Ancient Artifact: Representation, Narrative, and Function, Edited by Amalia Avramidou & Denise Demetriou, Walter de Gruyter GmbH, Berlin/Boston.
43. Wace A.J.B,(1962) *Stubbing FH. Companion To Homer*. Macmillan.

Webster, G., (1986) The British Celts and their gods under Rome, Batsford, London.